

## تفسير البحر المحيط

@ 236 عن أبي عمر وخبير : بما يعملون بالياء من تحت ، والجمهور بالتاء . .  
قوله عز وجل { خَدِيرٌ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَزَجْتُمْ الرِّسُولَ  
فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْهِ زَجْوًا كُمْ صَدَقَةٌ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ  
فَإِن لَّكُمْ تَجَدُّوا فَإِنَّ اللَّهَ ( سقط : إلى آخر الآية ) . .  
{ الَّذِينَ تَوَلَّوْا } : هم المنافقون ، والمغضوب عليهم : هم اليهود ، عن السدي  
ومقاتل ، أنه صلى الله عليه وسلم ( قال لأصحابه ( يدخل عليكم رجل قلبه قلب جبار وينظر  
بعيني شيطان ) ، فدخل عبد الله بن أبي بن سلول ، وكان أزرق أسمر قصيراً ، خفيف اللحية ،  
فقال عليه الصلاة والسلام : ( علام تشتمني أنت وأصحابك ) ؟ فحلف بالله ما فعل ، فقال عليه  
الصلاة والسلام له : ( فعلت ) ، فجاء بأصحابه فحلفوا بالله ما سبوه ، فنزلت . والضمير في {  
مَّا هُمْ } عائد على { الَّذِينَ تَوَلَّوْا } ، وهم المنافقون : أي ليسوا منكم أيها  
المؤمنون ، { وَلَا مِنْهُمْ } : أي ليسوا من الذين تولوهم ، وهم اليهود . وما هم  
استئناف إخبار بأنهم مذنبون ، لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ، كما قال عليه الصلاة والسلام :  
( مثل المنافق مثل الشاة العائرة بين الغنمين لأنه مع المؤمنين بقوله ومع الكفار بقلبه )  
. وقال ابن عطية : يحتمل تأويلاً آخر ، وهو أن يكون قوله : { مَّا هُمْ } يريد به  
اليهود ، وقوله : { وَلَا مِنْهُمْ } يريد به المنافقين ، فيجاء فعل المنافقين على هذا  
التأويل أحسن ، لأنهم تولوا مغضوباً عليهم ، ليسوا من أنفسهم فيلزمهم ذمامهم ، ولا من  
القوم المحققين فتكون الموالة صواباً . انتهى . والظاهر التأويل الأول ، لأن الذين تولوا  
هم المحدث عنهم . والضمير في { وَيَحْلِفُونَ } عائد عليهم ، فتتناسق الضمائر لهم ولا  
تختلف . وعلى هذا التأويل يكون { مَّا هُمْ } استئنافاً ، وجاز أن يكون حالاً من ضمير {  
تَوَلَّوْا } . وعلى احتمال ابن عطية ، يكون { مَّا هُمْ } صفة لقوم . { وَيَحْلِفُونَ }  
عَلَى الْكَذِبِ } ، إما أنهم ما سبوا ، كما روي في سبب النزول ، أو على أنهم مسلمون .  
والكذب هو ما ادعوه من الإسلام . { وَهُمْ يَعْلامُونَ } : جملة حالية يقبح عليهم ، إذ  
حلفوا على خلاف ما أبطنوا ، فالمعنى : وهم عالمون متعمدون له . والعذاب الشديد : المعد  
لهم في الآخرة . وقرأ الجمهور : { أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا } جمع يمين ؛ والحسن : إيمانهم ، بكسر  
الهمزة : أي ما يظهرون من الإيمان ، { جَنَّةٌ } : أي ما يتسترون به ويتقون المحدود ،  
وهو الترس ، { فَاصْدُوا } : أي أعرضوا ، أو صدوا الناس عن الإسلام ، إذ كانوا يثبטون  
من لقوا عن الإسلام ويضعفون أمر الإيمان وأهله ، أو صدوا المسلمين عن قتلهم بإظهار الإيمان

، وقتلهم هو سبيل الله فيهم ، لكن ما أظهره من الإسلام صدوا به المسلمين عن قتلهم . . .  
{ لَنْ تَغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوَالِدُهُمْ مَنْ اللَّاهُ شَيْئًا } : تقدم  
الكلام على هذه الجملة في أوائل آل عمران . { فَيَحْلِفُونَ لَهُ } : أي الله تعالى . ألا  
ترى إلى قولهم : { وَاللَّاهُ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ } ؟ { كَمَا يَحْلِفُونَ  
لَكُمْ } أنهم مؤمنون ، وليسوا بمؤمنين . والعجب منهم ، كيف يعتقدون أن كفرهم يخفى على  
عالم الغيب والشهادة ، ويجرونه مجرى المؤمنين في عدم اطلاعهم على كفرهم ونفاقهم ؟  
والمقصود أنهم مقيمون على الكذب ، قد تعودوه حتى كان على ألسنتهم في الآخرة كما كان في  
الدنيا ، { وَيَحْسَبُونَ أَنَّ زَاهُمْ عَلَى شَيْءٍ } : أي شيء نافع لهم . . .  
{ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ } : أي أحاط بهم من كل جهة ، وغلب على  
نفوسهم واستولى عليها